

هل أخطأ مسيحيو لبنان

قضايا صغيرة

عريق هو " لبنان " في التاريخ. ذكره الكتاب المقدس، وكان القديس " مارون " مدافعاً قوياً عن الكيان اللبناني منذ القرن الخامس الميلادي. إلا أن لبنان كان عبر التاريخ، مطمعاً للآخرين، لكنه ظل يحتفظ بقدر من الاستقلال في أحلك الحقب. ففي عهد الدولة العثمانية استطاع أن يحتفظ بقدر من الإدارة الذاتية وفق نظام المتصرفية. وكان الأمراء الشهابيون، قد أدوا دوراً بارزاً مع البطريركية المارونية في المحافظة على هذا القدر من الاستقلال.

وبعد سقوط الدولة العثمانية، نشطت حركة في لبنان لتحقيق استقلال تام، بدءاً بفكرة " لبنان الصغير " في جبل لبنان، كوطن مسيحي عربي. ثم توسعت الفكرة لتشمل " لبنان الكبير " بدخول المسلمين والدروز في حظيرة لبنان الكبير الحالي. لقد تمّ هذا بجهد مشترك من الزعيمين " بشارة الخوري " و " رياض الصلح " ، وبُني لبنان على مبدأ المشاركة في إدارة البلاد.

ومن هنا وُلد الميثاق الوطني ليكون فوق الدستور اللبناني. وهذا الميثاق هو الذي وزع السلطة السياسية بين أطراف ثلاثة: رئاسة الجمهورية للمارونيين، ورئاسة الوزراء للسنة ، ورئاسة مجلس النواب للشيعة. أما الأطراف الأخرى من مسيحيين غير مارونيين ودروز فقد احتسبت لهم مناصب وزارية ومقاعد في البرلمان. وسارت الأمور سيراً حسناً، حتى العام 1958 ، بل كان " لبنان " يتمتع بمركز مرموق بين الدول العربية، فهو الأخ الصغير الذي يتصالح فوق أرضه العرب.

ولكن، بعد منتصف العام 1958 وبسبب المتغيرات السياسية في الوطن العربي والعالم، تحول لبنان إلى الأخ الصغير الذي يتصارع فوق أرضه العرب. ومن هنا بدأت الأزمة اللبنانية وبخطأ من اللبنانيين أنفسهم حين سمحوا للآخرين أن يلعبوا فوق أرضهم، حتى قامت الحرب الأهلية منذ العام 1976 وحتى العام 1990، لتنتهي باتفاق " الطائف " نسبة إلى مدينة الطائف السعودية. حين ثبتت فكرة التوافق بين الطوائف الثلاث : المسيحية المارونية والسنية والشيعة المسلمين والتي أعطت علمياً حق النقض لكل طائفة، فالتوافق يعني إجماع الطوائف الثلاثة على الأمور الأساسية في الدولة وبالتالي قدرة أية طائفة منها على وقف أي قرار للدولة. وقد ثبت هذا التوافق في مقدمات الدستور.